توصيف الجيم العربية المركبة عند ابن سينا من خلال رسالته أسباب حدوث الحروف

الأستاذة : شعيب سليمة

جامعة سيدي بلعباس كلية اللغات والآداب والفنون

توصف الأصوات اللغوية بالنظر إلى مكان النطق ، أي المخرج ، كما توصف أيضا بالنظر إلى درجات إقفال وانفتاح الممر الهوائي ، فهذه الأصوات تتولد من وجود حبس أو تضييق في ممر الهواء ، فعندما يحدث انحباس تام للهواء نتيجة سد مجرى الهواء ثم انطلاق فجائي يسرح الهواء يتولد الصوت الذي يدعى بالشديد أو الانفجاري ، وحين يجد الهواء مجراه مضيقا غير مسدود فإنه يمر محتكا بالعضوين اللذين سببا تضييق مجراه دون انفجار ، ويسمى الصوت الذي يخرج بهذه الطريقة بالرخو أو الاحتكاكي .

وهناك حالة مركبة من الانحباس الذي يولد الشدة ، والتضييق الذي يولد الاحتكاك ، تكون حين يحدث الانحباس لكن الانفصال لا يكون سريعا ومفاجئا بل بطيئا فيحتك الهواء الخارج من الحبس بطيئا ويدعى الصوت الصادر به الطريقة بالمركب ، أو المعطش .

وعندنا في اللغة العربية صوت واحد يتكون بهذه الطريقة وهو الجيم ونطلق عليها الجيم الفصيحة بقصد التمييز ، وهي التي نسمعها اليوم من قراء القرآن الكريم .

ولعلماء العربية القدامى رأي مختلف عما قرره المحدثون حول صفة الجيم ، يظهر في حسبانهم الجيم صوتا شديدا ، ومن ثم ضموها إلى أنواقها الشديدة المجموعة في قولهم : (أجدك طبقت) إلا أن ابن سينا له وصف لصوت الجيم في رسالته أسباب حدوث الحروف يبين فيه أن الجيم صوت مركب من الانحباس والاحتكاك .

-التـــــركيب:

الأصوات المركبة: Les consonnes complexes

الأصوات المعطشة: Les consonnes affriquées

المركب اسم مفعول من فعل ركب أي ما ركب بعضهم بعضا[1] قال تعالى: " فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا" [2] و من المجاز: ركب الشحم بعضه بعضا و تراكب"[3]

اصطلاحا:

التركيب عند الصرفيين كل لفظ كان في أصله مكونا من شيئين، ثم صار شيئا واحدا و يتنوع المركب بحسب مكوناته مثل : المركب الإسنادي، المركب المزجي، الإضافي.. [4]،و عند علماء الأصوات يقصد بالصوت المركب أن يكون الصوت مزيجا من الشدة و الرخاوة، (أو من الانفجار و الاحتكاك)، و هي صفة خاصة بصوت الجيم المعطشة كما تنطق في تلاوة القرآن الكريم.[5] و في اللغة العربية صوت مركب وحيد و هو صوت الجيم .

و يتم نطق هذا الصوت بأن يرتفع مقدم اللسان اتجاه مؤخر اللثة و مقدم الحنك حتى يتصل بهما محتجزا وراءه اهواء الصادر من الرئتين، ثم بدلا أن ينفصل عنها فجأة كما هو الحال في نطق الأصوات الشديدة يتم الانفصال ببطء، يتم خلالها تسرب اهواء محدثا احتكاكا بالمخرج شبيها بما يسمع من نظير الشين "المجهور أو الجيم الشامية 6

يعني أن الصوت المركب يستلزم طريقتين من طرق النطق أولاهما الشدة أو الانفجار، و الثانية الرخاوة و الاحتكاك .

و بهذا يستخلص الصلة بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي فالصوت المركب إشارة إلى تكوينه من صوتين متلازمين لا فصل بينهما أو يحمل صوتين معا يتميزان بصفتين مختلفتين .

لم يعرف هذا المصطلح لدى علماء العرب القدامى ،و قد أطلق ابن سينا هذه التسمية على الأصوات الرخوة في مقابل الأصوات المفردة التي أراد بها الأصوات الشديدة[7]

و تتعدد تسميات المصطلح حديثا عند علماء العرب المحدثين نتيجة للترجمة عن المصادر الأجنبية[*]، إذ يطلق إبراهيم أنيس صفة الصوت المزدوج على هذا النوع من الأصوات فيقول: مزدوجة من الشدة و الرخاوة فيها من الصفتين معا[8]

واختيار تمام حسان إطلاق تسميتي التعطيش و التركيب في آن واحد على صوت واجيم[9]، ونلاحظ أن أغلب اللغويين العرب فضلوا توظيف مصطلح التركيب و الصوت المركب بدلا من الصوت المعطش أو التعطيش ،ويعود ذلك إلى استخدام علماء الغرب لمصطلح Affriquée للدلالة على الكيفية التي تحدث بها هذه الأصوات بأنها تتركب من صوتين، لذا تجد بين ثنايا كتب الأصوات العربية شيوع تسمية التركيب أو الصوت المركب أما التعطيش فيستعمله علماء الأصوات العرب غالبا للتفريق بينه و بين عدة صور نطقية للصوت المركب الواحد في اللغة العربية و هو الجيم، و منها الجيم القاهرية و الجيم الشامية النظير المجهور لصوت الشين فالتعطيش لغة من فعل عطّش يدل على الحبس عن الماء مثل: عطّش الإبل زاد في ظمئها ؛أي حبسها عن الماء و المعطش المحبوس عن الماء عمدا، و زرع معطش لم يسق[4].

ومن هذا المعنى أو المفهوم المعنوي استعار العرب تسمية هذا الصوت للتفريق بينه و بين الجيم القاهرية، فالتعطيش يعني أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين وسط اللسان و ما يوازيه من الحنك الأعلى (الغار) ثم ينفرج فجأة، و لما كانت المساحة التي يشغلها اللسان من الحنك الأعلى كبيرة نسبيا إذا قيست باحتباس عند اللثة فإن انفصال ظهر اللسان عند الحنك الأعلى لا يحدث متزامنا و بذلك يتخلف أثر احتكاكي يقويه الناطق بعض التقوية لتكون الجيم مركبة من بعض الشدة و بعض الرخاوة، ولذلك جرى رسم هذا الجيم في الكتابات الأجنبية برمزين هما" DJ" فالرمز" D" لقيمة الشدة و"J" لقيمة الرخاوة[10].

الجيم عند القدماء:

يعد صوت الجيم من الأصوات التي اختلف القدماء و المحدثون حول صفتها مع صوتي العين والضاد، فقد وضعها سيبويه ضمن الأصوات الشديدة [11] ، و تبعه في ذلك لاحقيه من العلماء العرب[12]. و اتفق المحدثون على أنه صوت مركب، وينطبق هذا الوصف على ما يطلق عليه حديثا الجيم الفصيحة؛ لأن للجيم ثلاث صور نطقية في اللهجات العربية .

و أثار وصف سيبويه لمخرج صوت الجيم و صفته عدة تساؤلات بين اللغويين المحدثين منهم إبراهيم أنيس حين ذكر في قوله:" يقول القدماء إن الجيم حرف شديد و مع ذلك يجعلون مخرجه من وسط الفم مع الشين و هما أمران متناقضان [13].

و خلص إبراهيم أنيس إلى أن صوت الجيم الذي وصفه سيبويه بالشدة تغير و ما يسمع اليوم هو صوت آخر، كما يرجع أن أصل صوت الجيم هو "الجاف" أو الجيم القاهرية و ليس الجيم المعطشة كما يعتقد البعض[14] .

و قد حاول كمال بشر إعطاء تفسير آخر حول سبب وصف سيبويه لصوت الجيم بالشدة، إذ اهتدى إلى أن أول مرحلة من مراحل نطق الجيم تتصف بالشدة لذا وضع سيبويه هذا الصوت ضمن الأصوات الشديدة في قوله: "ذلك أن أصوات " أجدك قطبت" كلها (و من ضمنها الجيم) يبدأ نطقها بوقوف الهواء في مواضع النطق و لكن في حالة الجيم و حدها تنفصل أعضاء النطق بعضها عن بعض ببطء فيتسرب الهواء محدثا صوتا احتكاكيا في ذات الموضع، و هو صوت يعد جزءا لا يتجزأ من نطق الجيم فتكون النتيجة صوتا مركبا وقفة احتكاكية (مكونا من وقفة و احتكاك متلازمين)، أما في الباقيات من (أجدت طبقك) فيحدث الانفصال سريعا فينفذ الهواء سريعا مفاجئا محدثا انفجارا لتحقيق النطق الكامل "[15]

و اختيار سيبويه ضم هذا الصوت إلى الأصوات الشديدة راجع إلى أنه يبدأ نطق هذا الصوت كما لو كنا ننطق دالا ثم ينتهي نطقها كما لو كنا ننطق شينا مجهورة أي " DJ" ولأن بداية تشكله تتم بحبس الهواء لوجود اعتراض شديد.

و يذهب أغلب اللغويين إلى أن الجيم المعطشة هي الجيم الفصيحة لأنها توارثت من المقرئين[16] . وقد أيقن بعض العلماء من العرب القدامى الكيفية التي يحدث بها هذا الصوت ويتجلى ذلك في وصف مخرج هذا الصوت وصفته لدى ابن سينا، فقد ذكر أن الجيم " تحدث من حبس بطرق اللسان تام، و بتقريب الجزء المقدم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء و النتوء و الانخفاض مع سعة في ذات اليمين و اليسار، و إعداد رطوبة، حتى إذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذا يصغر لضيق المسلك(...)"[17].

فالقارئ المتتبع لهذا الوصف الدقيق لمخرج الجيم يدرك أنه ذكر عدة مراحل في نطق الجيم هي:

- حبس بطرف اللسان التام.
- تقريب الجزء المقدم من اللسان من سطح الحنك.
- إطلاق الهواء.
- نفوذ الهواء في ذلك المضيق نفوذا يصغر لضيق المسلك.

يتقاطع هذا الوصف مع وصف المحدثين لصوت الجيم، فعبارة حبس بطرف اللسان تدل دلالة واضحة على نطق الصوت الأول شبيه بصوت الدال، لأن الدال تتشكل باتصال تام لطرف اللسان مع مقدمة الحنك الصلب، ثم انتقل إلى المرحلة الثانية و هو اقتراب مقدم اللسان من سطح الحنك دون التقاء محكم و هو موضع نطق الشين الجيم الشامية بعدها يتسرب الهواء ببطء نظرا لضيق موضع النطق حين قال يصغر "لضيق المسلك" فيصطلحا

"حبس و تضييق" يوحيان لنا أن هذا الصوت صوت مركب، كما لم يكتف بذكر هذين المصطلحين بل بين الكيفية التي يتسرب بها الهواء بعض إطلاقه من خلال منفذ ضيق يجعل الهواء يخرج ببطء على عكس بقية الأصوات الشديدة والتي يخرج الهواء حين النطق بها بعد إطلاقه دفعة واحدة .

و مما يدل على إدراك ابن سينا لتركيب هذا الصوت هو حديثه في كتابه عن طائفة من الأصوات المركبة غير العربية[18].

الهوامش:

1-مادة (ركب)، مفردات غريب القرآن

2- السورة الأنعام ، الآية: 99 .

3 – مادة (ركب) ،أساس البلاغة

4-سمير نجيب اللبدي ،معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، ص: 95.

5-محمد محمد داوود ،العربية و علم اللغة الحديث، ص: 194.

6- تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة ،ص: 132.

7-ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف ،ص: 60-61

* يقول ديسوسير عن هذه الأصوات"complexe « des phonèmes d'un caractère في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة cours de linguisicique générale

8-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ،ص 78.

9- تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة، ص: 132.

[4]- مادة (خطش)، لسان العرب.

10- برتيلمالمبرج ،علم الأصوات ترجمة و دراسة، عبد الصبور شاهين ص:124.

11-سيبويه ،الكتاب ،ج4 ص434.

12-المبرد ،المقتضب ،ج1،ص: 195.

13-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 82.

14-المرجع نفسه، ص:80.

15-كمال بشر، علم الأصوات ،ص 314.

16-المرجع نفسه، ص: 316.

17- ابن سينا ،رسالة أسباب حدوث الحروف،ص:75

18 ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص :78